الشاعر والألم

للشاعر الفرنسي الفحل الفريد دو موسيه

[تنبيه : احمد أبو الخير مندي]

١ — مهما يكن أساك الذي في صباك تكابده
فمذ رُ تلك الجروح الكريمة تقيح
تلك الجروح التي ملائكة الشر أدمت بها فؤادك :
فلا شيء يسمو بنا مثل الآلام الفادحة .
ولكن لا تظنن أيهذا الشاعر إن مسّك الألم
ان صوتك في الناس يبقى كظلها ويُكتم ،
انما أحلى الاناشيد ادناها الى القنوط ،
وأن منها لخالدة ، وهي زفراتٌ حارة صادقة

٢ — اذا البَجَع[1] وقد أضناه السير الطويل
انقلب في غَبَش الاصيل الى قصبه ،
تسارعت اطفاله الجائعة على الشاطىء ،
تظن اذ تراه على بعد يهبط الماء ،
انها قد ظفرت بالفريسة وتاهشتها ،
فصَدّت الى أبيها تصايح من طرب ،
تهز مناقيرها فوق حواصلها المتبشمة .
أما هو فقد أمّ في خطو وئيد صخرة عالية ،
فوارى تحت جناحه المُسْدل صغاره ،
ذو صيد عبوس يجيل في السماء انظاره .
ودماؤه تسيل من صَدْع صدره متدفقة ،
فقد فتش اعماق البحار بلا طائل :
ان المحيط كان خالياً والساحل اجردَ ،

(١) طائر مائي كبير له حوصلة كبيرة ومنقار طويل منتصب عريض ويقال انه يخرج طعامه للفي اكله من جوفه ليطعم به صغاره ، بل يزعمون انه يمزق جنبه ليسقي اولاده دمه . لهذا كان البجع رمزاً للامهات والتضحية والبذل

فلم يحضر لهم من القوت سوى مهجته ،
كثيباً صموتاً على الصخرة مستلقياً ،
سُقِسّماً بين صغاره احشاء أب ،
يتشاغل بحبه الاسمى عن اوجاعه
وينظر الى دمه من صدره الدامي يتدفق ،
فيتخاذل ويصرع فوق سياط[1] احتضاره[2]
مُملأً من سكرات اللذة والحنان والفزع .
ولكنهُ أحياناً وسط التضحية السامية ،
وقد سئم ان يموت في عذاب لا آخر له ،
قد حالهُ ان يتركهُ اولادهُ بالحياة مائتاً ،
فينهض ويبسط في الهواء جناحه ،
ويضرب قلبه في صرخة وحشية ،
فيشهق بالليل شهقة الوداع المحزن حتى ان
طيور الماء تجلي عن الشاطىء ،
وابن السبيل على الساحل المتكسّع ،
اذ يشعر بالموت مجازاً يسلم الى الله[3] ويسترجع[4]
٣ — ايها الشاعر كذلك يفعل فحول الشعراء »
فانهم يهيجون أهل الارض حيناً ،
ولكن المآدب التي يمدونها في افراحهم للناس
تشبه معظمها مآدب البيجع .
فهم اذ يتحدثون عن الآمال الخائبة ،
وعن الاحزان ، والنسيان ، والحب ، والشقاء ،
فما تلك باغاني تطرب قلوب الناس .
انما انشادهم شبيه بسيوف ،
ترسم في الهواء دوائر تبهر العيون :
ولكنها لا تنفك عن قطرة دم بها ناشبة .

---

(١) السياط مايمد من الطعام او المائدة (٢) الاحتضار نزع الموت (٣) اي يسلم الى الله امره او يفوض امره الى الله (٤) اي يقول انا لله وانا اليه راجعون